



القصص القرآني في سورة يوسف : دراسة تطبيقية

عمار علي ماضي

جامعة الزيتونية، تونس

البريد الإلكتروني: ammarsedrati1967@gmail.com

مستخلص البحث

اتخذ الإنسان في حياته البشرية أشكالاً مختلفة ومتنوعة في أنماط حياته ، و في التعبير عن مشاعره و أفكاره و في تسجيل وقائعه التاريخية و الإنسانية ، كل ذلك من أجل وضع سجل تاريخي يحفظ للجنس البشري صيرورته و حياته ، من تلك الأشكال و الفنون و الآداب فن القصة قال الله تعالى : لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصَدِّيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١) ، وهذا ما سنعرض بحثه في هذا المقام.

كلمات أساسية: القصص القرآني؛ سورة يوسف؛ دراسة تطبيقية

المطلب الأول - تعريف القصص: لغة واصطلاحاً

أ- لغة:

وردت مادة القصة و القصص في معاجم اللغة نذكر :

ما جاء في لسان العرب : "(القصُّ) فعل القاصُّ إذا قصَّ القصصَ، والقصة معروفة ويقال: في رأسه قصة، يعني الجملة من الكلام، ونحوه قوله تعالى: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ (٢) ؛ أي تبين ذلك أحسن البيان، والقاصُّ: الذي يأتي بالقصة من قصَّها، ويقال، قصصت الشيء إذا تتبعته أثره شيئاً بعد شيء، ومنه قوله تعالى: وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّبِي (٣) أي اتبعي أثره ويجوز بالسین قسست قسا، والقصة :

(١)- سورة يوسف الآية ١١١ .

(٢)-سورة يوسف الآية ٣ .

(٣)-سورة القصص الآية ١١ .

الخبر وهو القصص، وقصّ على خبره يقصُّ ه قصصًا وقصصًا: أوردته، والقصصُ: الخبر المقصوص بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقصص بكسر القاف، جمع القصة التي تكتب، والقصة: الأمر والحديث، واقتصبت الحديث: رويته على وجهه، وقصّ عليه الخبر قصصًا^(٤). وجاء عند ابن فارس: "(قص): القاف والصاد أصلٌ صحيح يدلُّ على تتبع الشيء، من ذلك قولهم: اقتصبتُ الأثر، إذا تتبعته، ومن ذلك اشتقاق القصاص في الجراح، وذلك أنّه يفعل به مثل فعله بالأول، فكانه اقتصّي أثره، ومن الباب القصّ هو القصص، كل ذلك يتتبع فيذكر، وأمّا الصدر فهو القصُّ..."^(٥).

و أضاف الفيروز أبادي إلى ذلك بقوله: "(قصّ) أثره قصصًا وقصصًا: تتبعه، والخبر: أعلمه، قال تعالى: فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا^(٦) (٧).

وجاء في أساس البلاغة: "وقص عليه الحديث والرؤيا، واقتصه، وتقصصت كلام فلان، وله قصة عجيبة، وقصص حسنٌ وقصيصة وقصصٌ وقصائص وأقاصيصٌ، وقال هُدبَة خشم: [من الطويل]

فَقَصُّوا عَلَيْهِ ذَنْبَنَا وَتَجَاوَزُوا ذُنُوبَهُمْ عِنْدَ الْقَصَصَةِ وَالْأَثَرِ

أي عند القصة والحكاية، ورفع قصته إلى السلطان"^(٨).

من خلال المعاني اللغوية التي وقف عندها علماء اللغة وحديثهم عن مادة قصص كثيرة أي أصلها اللغوي من القصّ وهو اقتفاء الأثر وتبعه، وكما يأتي بمعنى الشأن والأمر والخبر.

ب- اصطلاحا:

تناول العديد من الباحثين مفهوم القصة أو القصص، لكن اختلفت نظرتهم فكل حسب اختصاصه و حسب مجاله فهناك من عرفها تعريفا أدبيا وهناك من تناولها في مجال الإعجاز القصصي الخاص بالقرآن الكريم، ومن التعريفات:

(٤)-لسان العرب: ابن منظور، إعداد يوسف خياط، المجلد ٣، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، (د/ط)، (د/ت)، ص: ١٠

(٥)-معجم مقاييس اللغة: ابن فارس ابن الحسن بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج ٥، ص: ١١

(٦)-سورة الكهف الآية ٦٤

(٧)-القاموس المحيط: الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، تح: مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة محمد نعيم الوقسوسي، بيروت لبنان، ط ٢٠٠٥-١٤٢٦، ٨، ص: ٦٢٨.

(٨)-أساس البلاغة: الزمخشري (أبو قاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد)، تح: محمد باسل عيون السود، (المحتوى فأديهم)، دار الكتب

العلمية، بيروت لبنان، ج ٢، ط ١٩٩٨-١٤١٩، ٢، ص: ٨٢

ما جاء في قول ابن عطية: إن "القصبة هي حكاية أدبية وتدرك لتقص وتكون قصيرة نسبياً وذات خطة بسيطة وحدث محدد حول جانب من الحياة، لا في واقعها العادي والمنطقي، وإنما طبقاً لنظرة مثالية ورمزية، لتنبئ أحداثاً وبيئات وشخص، وإنما توجز في لحظة واحدة، حدثاً ذا معنى كبير" (٩). وما ورد في كتاب "إشارة اللغة ودلالة الكلام" بأن: "القصبة هي نظام من الإشارات المتبادلة التحفيز أي اقتراب أكثر من طبيعة الخطاب الروائي" (١٠).

كما جاء في جواهر الأدب: "القصص: هي معرفة أحوال السابقين، وكانوا يعرفون منها ما كان عليه أسلافهم وبعض متجاوزهم من الأحوال المأثورة، ووقائع أيامهم المشهورة، كقصبة الفيل، وجرب البسوس وحرب الفجار..." (١١).

وقد أشار ابن عاشور الطاهر إلى أن القصبة: "هي الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها، فليس ما في القرآن من ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم، وجمع القصبة قصص بكسر القاف، وأماً في القصص بفتح القاف فاسم للخبر المقصود، وهو مصدر سمي به المفعول، يقال قص على فلان إذا أخبره بخبر" (١٢).

مما تجدر الإشارة إليه ما أبدع فيه فاضل السامرائي من خلال دراساته المتعلقة بالقصص القرآني واهتمامه بهذا الجانب إذ يقول: "إن القصبة الواحدة قد يكون فيها أكثر من مواطن عبرة وأكثر من جانب استشهاد، لذا أن تذكر في المناسبة التي يراد الاستشهاد لها والمواطن الذي يراد الاعتراض به وأن يبرز منها ما يراد الاعتبار أو الاستشهاد به ويسلط الضوء عليه، وهذا شأن القصص القرآني، فأنت ترى أن القصبة في القرآن كأنها تتكرر في أكثر من موطن، والحقيقة أنها لا تتكرر ولكن يعرض في كل مواطن جانب منها بحسب ما يقتضيه السياق وبحسب ما يراد من مواطن العبرة والاستشهاد" (١٣).

كما ذكر عطية مطاوع في قوله: "بأن القصص أنباء أحداث تاريخية لم تتلبس بشيء من الخيال، ولم يدخل عليها شيء غير الواقع، ومع هذا فقد اشتمل على ما لم يشتمل عليه غيره من القصص من الإشارة والتشويق مع قيامه على الحقائق المطلقة..." (١٤).

نخلص من خلال عرضنا لتلك الآراء المتداخلة حول مفهوم القصبة و القصص إلى أنها تعبر عن وحدة فلسفية للعالم و الجنس البشري و لمختلف وقائعه التاريخية، وهي شكل من أشكال الإحساس بالعالم و الحياة، وترجمة لموقف منه، و الاستفادة منه.

(٩)-الإعجاز القصصي في القرآن: سعيد عطية علي مطاوع، دار الأفق العربية، القاهرة، ط ٢٠٠٦، ١، ص: ٢٣

(١٠)-إشارة اللغة ودلالة الكلام: مورييس أبو ناضر، بيروت، لبنان، ط ١٩٩٠، ١، ص: ١١٧، ١١٦

(١١)-جواهر الأدب (في أدبيات وإنشاء لغة العرب): أحمد الهاشمي، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، ج ٢، (د/ت)، ص: ٢٢

(١٢)-تفسير التحرير والتنوير: محمد طاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ج ١٩٨٤، ١، ص: ٦٤

(١٣)-التعبير القرآني: لفاضل صالح السمرائي، دار عمار، عمان، ط ٢٠٠٦-١٤٢٧، ٤، ص: ٢٨٣

(١٤)-الإعجاز القصصي في القرآن: لسعيد عطية علي مطاوع، ص: ٣٩

المطلب الثاني - أنواع القصص القرآني

اختلفت تقسيمات العلماء للقصص القرآني فمنهم من قسمها باعتبار الطول والقصر ومنهم من قسمها باعتبار شخصيات القصة من أنبياء وغيرهم، فقد قسمتها مريم السباعي إلى (١٥):

أولاً : القصة طويلة، وهي قصة ترد مجزأة ثم تتجمع في موضع واحد مثل: قصة نوح عليه السلام أو ترد مرة واحدة في مكان واحد كقصة يوسف عليه السلام .

ثانياً: القصة قصيرة، وهي قصة محتوية على بعض العناصر كقصة النمل والهدهد، أو متمثلة على كل عناصر القصة إلا أنها قصيرة .

وقسمها مناع القطان إلى (١٦):

- قصص الأنبياء، تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، كقصص نوح وإبراهيم عليهم السلام.
- قصص قرآني يتعلق بحوادث مضت، وأشخاص لم تثبت نبوتهم كأهل الكهف وذوي القرنين.
- قصص متعلقة بالحوادث التي وقعت في زمن الرسول-صلى الله عليه وسلم- كغزوة بدر .

ثالثاً أهداف القصة القرآنية :

للقصة القرآنية أهداف كثيرة نذكر منها (١٧):

- بيان أن الرسل جميعاً أرسلوا بدعوة واحدة، ولإثبات ترابط الدعوات الإلهية و اشتراكها في الدعوة إلى الله تعالى، وإخلاص العبادة لله القهار، وأداء التكليف التي أنيطت بالناس، حيث نجد أن الرسل جميعاً اتفقت دعوتهم إلى توحيد الله و عدم الإشراف به وهذا ما قرره الآيه الكريمة نلخص أصل دعوة الرسل في قوله تعالى : **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ** (١٨).
- تثبيت فؤاد النبي -عليه الصلاة والسلام-، قال الله تعالى: **وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ - فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** (١٩)، وتخفيف ما أصابه من أذى قومه، وحثه على الإقتداء بالأنبياء السابقين، قال الله تعالى: **كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ**

(١٥)-ينظر: القصة في القرآن الكريم: مريم عبد القادر السباعي، دار النهضة، القاهرة، مصر، (د/ط)، ١٩٨٧م، ص: ١٥٥

(١٦)-ينظر: مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط: ٧، (د/ت)، ص: ٣٠٦.

(١٧)- تراجع هذه الأهداف في: مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ص: ٣٠٢.

(١٨)- سورة النحل الآية ٣٦.

(١٩)- سورة هود الآية ١٢٠.

- قَبْلِهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ^(٢٠)، [الذاريات: ٥٢]، فكل تلك القصص التي قصها القرآن على نبينا إنما كان الغرض منها هو تثبيت قلب النبي - صلى الله عليه وسلم - وزيادة شدة عزمه على الصبر و التجلد.
- تصديق الأنبياء والتذكير بأحكام الأمر الغابرة الأقسام البائدة الذين حادوا عن صراط الهداية وهدى الأنبياء والصالحين.
 - بيان أن القرآن من عند الله وأنه معجز للبشرية، وأن ما اشتمل من قصص للسابقين لا علم للرسول - صلى الله عليه وسلم - وإنما علم من لدى الله سبحانه وتعالى، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صادق فيما يبلغه عن ربه، قال الله تعالى: تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعُقُوبَةَ لِلْمُتَّقِينَ^(٢١).
 - كانت من أدل الدلائل على صدق رسالة المصطفى - عليه السلام - إخباره بالغيبات عن الأمم السابقة من تلك الأمم و الأخبار قصص الأنبياء و المرسلين.
 - أعتبر القصص القرآني ذا هدف و غاية واضحة فهو لم يأت لمجرد التسلية و الأناج، بل كان غرضه تقويم السلوك البشري وتهذيبه، و الدفع به إلى ضرورة الأخذ بالعبر و الفوائد من تلك القصص لبناء مجتمع متكامل الأخلاق و السلوك.
 - القصص ضرب من ضروب الأدب، يصغى إليه المسمع، وترسيخ عبره في النفس.

رابعا خصائص القصة القرآنية :

للقصة القرآنية خصائص تميزها عن غيرها من القصص العادية، وهذا ما منحها السمو و العلو وزادها بلاغة و إعجازا ومن خلال هذه الخصائص أستحق أن يوصف هذا القصص القرآني بأوصاف راقية وعالية المعاني في قوله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ)^(٢٢) ومن أهم هذه الخصائص نذكر^(٢٣):

أ- العرض التصويري :

إن القرآن الكريم عندما يأتي بالقصة لا يخبر بها إخبارا مجردا، بل يعرضها بأسلوب تصويري، يتناول جميع المشاهد و المناظر المعروضة وهذا ما أصطلح عليه عند بعض العلماء بالمشهدية، و القصة حادث يقع ومشهد يجري، و"التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية و عن الحوادث المحسوس، و المشهد المنظور، و عن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة

(٢٠)- سورة الذاريات الآية ٥٢

(٢١)- سورة هود الآية ٤٩.

(٢٢)- سورة يوسف الآية ٣.

(٢٣)- ينظر: الواضح في علوم القرآن: مصطفى ديب البغا ومحيي الدين ديب متو، دار الكلم الطيب ودار العلوم الانسانية، (د/ط)، (ت/).

المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، و إذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد^(٢٤)، فمن أمثلة القصص التي برزت فيها قوة العرض و الإحياء: قصة أصحاب الجنة، وقصة أصحاب الكهف، ومن أمثلة ما برز فيه تصوير العواطف و الانفعالات: قصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح، وقصة مريم عند ميلادها عيسى - عليهما السلام-، ومن أمثلة رسم الشخصيات في القصة القرآنية: قصة موسى عليه السلام مع فرعون، وقصة سليمان عليه السلام مع بلقيس .

ب- التنوع في الاستهلال بالقصة ووضع المدخل إليها :

من ابرز الخصائص الفنية للقصة القرآنية تنوع طريقة العرض في ابتداء القصة، وذلك أن عنصر التشويق أمر أساسي في القصة ومن أهم مظاهر براعة الاستهلال في القصة القرآنية هي :
البدء بأغرب مشهد يلفت النظر فيها: المشهد الغريب من شأنه أن يثير الانتباه أكثر من غيره حتى إذا انفتح الذهن و اقبل على القصة، عمد البيان إلى استدراك ما فات من المشاهد .

- التقديم للقصة بخلاصة عنها: وذلك بان ينتزع من القصة أهم مظاهر العبرة فيها، فتصاغ بشكل خلاصة تجعل مدخلا للقصة وبداية لها، ثم تعرض التفصيلات بعد هذا المدخل.
- الاستهلال بذكر الأسباب و النتائج: ما يكشف عن مغزى القصة وحكمة أحداثها، من خلال العبرة التي ينبغي أن تؤخذ منها.
- ذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص: يكتفي بما تحمله في طياتها من مفاجآت خاصة، مثل قصة مريم عند ولادتها عيسى عليهما السلام وغيرها من القصص كثير.
- العرض التمثيلي: وهو يقوم على إبراز المشاهد الرئيسية و الحلقات الأساسية من القصة، وهذا ما يجعلها جلية لا غموض فيها أمام الناظر.

المطلب الثالث نماذج من دور السياق اللغوي في فهم القصص القرآني

قال الله تعالى ۞ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ۙ ءَالٍ يَعْقُبُونَ ۗ وَآَجَعَلَهُ رَبِّ رَضِيًّا^(٢٥)

الملاحظ ابتداء في هذه الآية أنها قد أثارت تساؤلا حول المقصود بكلمة (يرثني) فاختلف العلماء حولها و المعنى المراد منها اهو ميراث المال و الملك أم ميراث العلم و النبوة، لذا كان حريا بنا اللجوء إلى اكتشاف توظيف العلماء للسياق اللغوي و دوره في إبراز هذه الكلمة، فقد جاء في تفسير المحرر الوجيز: "وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَّ مِنْ وَرَائِي^(٢٦) اختلف في المعنى الذي خاف من أجله الموالى: فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح خاف أن يرثا ماله وأن ترثه الكلاله فأشفق من ذلك، وروي قتادة و الحسن عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال: "يرحم الله أخي زكريا ما كان عليه ممن يرث ماله"، وقالت فرقة و إنما كان مواليه مهملين للدين فخاف بموته أن يضيع الدين، فطلب وليا يقوم بالدين بعده، حكى هذا قول

(٢٤)-التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٤٢٣، ١٦٠هـ-٢٠٠٢م، ص: ٣٦

(٢٥)- سورة مريم الآية ٦.

(٢٦)- سورة مريم الآية ٥.

الزجاج وفيه أنه لا يجوز أن يسأل ، و" هذا هو الصحيح من القولين في تأويل الآية، لأنه "زكريا" من يرث ماله إذ الأنبياء لا تورث."^(٢٧) .

عليه الصلاة والسلام أراد وراثه العلم و النبوة لا وراثه المال، لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة"، وفي كتاب أبي داود: "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم."^(٢٨) .

كما قال صاحب "اللوامح" نقلا عن "اللباب في علوم الكتاب": "في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير يرث نبوتي إن مت قبله ، وأرث ماله إن مات قبلي، ونقل هذا عن الحسن"^(٢٩) .

كما قال ذلك أيضا الطبري في تفسيره: "يرثني من بعد وفاتي مالي و يرث من آل يعقوب النبوة، وذلك لأن زكريا من ولد يعقوب"^(٣٠) .

مما سبق بيانه من أقوال المفسرين لدلالات (يرثني) نرجح دلالة السياق في معنى الميراث بأنه العلم والنبوة، و تجلى ذلك من خلال السابق في قوله: "خفت الموالي"، حيث أن الموالي كانوا مهملين لأمر الدين، ولم يقدموا بأعبائه، فقصده زكريا ربه بأن يرزقه الولد من أجل ميراث العلم والنبوة، ومعلوم أن زكريا لم يرث المال من آل يعقوب، ولا كان خله أن يرث ابنه كذلك مال آل يعقوب، كما يتبين في السياق السابق (خفت الموالي) واللاحق (آل يعقوب) قرينة سياقية، ونستدل بالسياق الخارجي:

عن أبي الدرداء قال سمعت الرسول- صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، و أورثوا العلم ، فمن أخذه أخذا بحظ وافر ."

قال الله تعالى: وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ^(٣١)

مما يلفت الانتباه في كثير من آيات الأمم الغابرة أن فيها تنويعا وتشويقا يشد الانتباه ويأخذ الأبواب وذلك من خلال التنوع في صيغ الأفعال بين الماضي و المضارع وبين الماضي و الأمر وغير ذلك من الإنزياحات فانصرف اهتمام المفسرين وأهل البلاغة إلى الغرض من التنوع في الأفعال فأشكل عليهم صيغة الفعل المضارع (يأتهم) بعد أن كانت الأسلوب يتحدث بصيغة الماضي في قوله تعالى: وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ^(٣٢)

(٢٧)-المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي (أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت ٥٤٦هـ))، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج ٤، ط ١٤٢٢، ١-٢٠٠١م، ص: ٤

(٢٨)-الجامع لأحكام القرآن (والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان): القرطبي أبو عبد الله (محمد بن أبي بكر (ت ٦٧١هـ))، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ج ١٣، ط ١٤٢٧، ١-٢٠٠٦م، ص: ٤١٠

(٢٩)-اللباب في علوم الكتاب: ابن عادل الدمشقي الحنبلي (أبو حفص عمر بن علي (ت بعد ٨٨٠هـ))، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي أحمد محمد معوض، ج ١٣، ط ١٤١٩، ١-١٩٩٨م، ص: ١٠

(٣٠)- تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل أي القرآن: الطبري، تحقيق: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرساني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، المجلد ٥، ط ١٤١٥، ١-١٩٩٤م، ص: ١٤٣

(٣١)-سورة الزخرف الآية ٧

(٣٢)-سورة الزخرف الآية ٦..

فحاولوا استخراج بعض المعاني بتأثير من دور السياق حيث رأوا بأن صيغة (يأتيهم) قصد بها قوم قريش غير أن دلالة السياق بالنظر إلى سابق الآية في قوله (كم أرسلنا) تشمل الزمن الماضي وهي مستمرة لحدث الاستمرارية والحركة في الفعل المضارع إلى قيام الساعة، وفي هذا الصدد نحاول التعرض لهذا المثال بشيء من البيان والإيضاح، فقد جاء في تفسير المحرر الوجيز: "قوله تعالى ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾^(٣٣) الآيات تسلية لمحمد عليه السلام، وذكر أسوة له ووعيد لهم وتهديد بأن يصيبهم ما أصاب من هو أشد بطشا، الأولين: هم الأمم الماضية كقوم نوح وعاد وغيرهم، والضمير في قوله: (كانوا يستهزئون) ظاهره العموم والمراد به الخصوص، فيمن استهزأ، إلا وفقد كان في الأولين من لم يستهزئ، والضمير في: (منهم) عائد على قريش."^(٣٤)

فالاستثناء في قوله: " (ألا كانوا به يستهزئون) استثناء من أحوال، أي ما يأتيهم نبيء في حال من أحوالهم إلا يقارن استهزاؤهم إتيان ذلك النبيء إليهم، فجملة ﴿وما ياتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون﴾^(٣٥) في موضع الحال من الأولين، وهذا المقصود من الإخبار"^(٣٦).

قال الله تعالى: يَا خَتَّ هُرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا^(٣٧)

تعتبر قصة مريم من القصص المعجز كونها آية من آيات الله الباهرة التي أثبتت قدرة الله في خلق الإنسان من غير أب وهي آية جاءت على غير ما ألفه البشر من كون أن الولادة تكون نتيجة التزاوج بين الجنسين، وقد جاء النص القرآني يدافع بأقوى الحجج عن مريم عليها السلام، من ذلك المثال الذي نحن بصدد إيضاحه وبيان دور السياق في بلورة ذلك المعنى وإبرازه ومحل تساؤلنا في هذه الآية حول كلمة "سوء"، من ذلك ما جاء في البحر المحيط حيث قال: " (ما كان أبوك امرأ سوء (لجعل الخبر المعرفة والاسم النكرة، وحسن ذلك قليلا كونها فيها مصوغ جواز الابتداء وهو الإضافة، ولما اتمموها بما اتمموها نفوا عن أبويها السوء لمناسبة الولادة، ولم ينصوا على إثبات الصلاح وإن كان نفي السوء يوجب الصلاح، ونفي البغاء يوجب العفة، لأنهما بالنسبة إليهما نقيضان "^(٣٨).

المتأمل في هذه الآية الكريمة وفي تفسير العلماء لها وكلام أبي حيان الأندلسي يتضح له أن كلمة السوء فهم معناها ومقصدها من خلال الرجوع إلى السابق المتمثل في جملة (يا أخت هارون)، فهارون كان رجلا صالحا وذكره في هذا المقام يحدد أن السوء نقيض الصلاح، ويتحدد مفهوم السوء من اللاحق في جملة (ما كانت أمك بغيا) و البغاء كما هو معروف ويعنون به ممارسة الفاحشة، وذكر هذا الأمر في هذا المقام يفهم منه أن السوء هو ممارسة الزنا وهذا المعنى تحدد بفضل السياق اللغوي.

(٣٣)- سورة الزخرف الآية ٦ .

(٣٤)-المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج٥، ص: ٤٦

(٣٥)-سورة الحجر الآية ١١ .

(٣٦)-التحرير والتنوير: ابن عاشور الطاهر، ج ٢٥، ص: ١٦٦

(٣٧)-سورة مريم الآية ٢٧ .

(٣٨)-البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف الشهيد (ت ٧٤٥هـ))، تحقيق: عادل أحمد الموجود وعلي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج٦، ط١٤١٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص: ١٧٦.

قال الله تعالى: فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٣٩)

تعتبر قصة نوح -عليه السلام- من القصص المؤثرة ذات العبر الجليلة كونها اشتملت على أحداث ووقائع جسام قل نظيرها في القصص القرآني والآية التي بين يدينا تتحدث عن مرحلة فاصلة من مراحل الصراع بين الحق والباطل وهي نجاة المؤمنين وهلاك الكافرين وهي سنة الله في هذا الكون كما قال الله تعالى: وكان حقا علينا نصر المؤمنين (٤٠)

تحدث الزمخشري عن هذه الآية محاولا تفسيرها واستكشاف أهم المعاني الواردة فيها فقال جملة الذين معه محل خلاف لأن: "(الذين معه): قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة" (٤١) الزمخشري يذكر بعدها قولاً آخر فيقول وهو: "وقبل تسعة، بنوه، سام، حام، ونافت، وستة ممن آمن به." (٤٢)

ولسائل أن يسأل من هم الذين نجاهم الله مع نوح وما صفتهم فهل هم مؤمنين أم الكافرين يبين لنا المولى عز وجل بما لا يدع مجالاً للشك أنهم طائفة المؤمنين وذلك من خلال ما دل عليه سياق الآية، وهو لاحقها في قوله (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا)، فالذين أغرقهم الله طائفة المكذبين والظالمين ومن مفهوم المخالفة أن الذين أنجاهم الله هم المؤمنين، والتكذيب الثاني أعم من التكذيب الأول، قال الطاهر بن عاشور: "فصار تكديبا اعم من التكذيب الأول، فهو بالنسبة للملأ يؤول إلى معنى كما يزيد ذلك إيضاحا في بيانه لجملة في الفلك: "فيقول هو متعلق الاستمرار على التكذيب" (٤٣)،

بمعنى قوله (معه) لأن تقديره: استقروا معه في الفلك، وبهذا التعليق علم أن الله أمره أن يحمل في ، ويؤكد طاهر بن عاشور الفلك معشرا وأنهم كانوا مصدقين له، فكان هذا التعليق إيجازا بديعيا بيانيا (٤٤) أن الذين معه هم المؤمنين (والذين معه): هم الذين آمنوا به" (٤٥).

فمن خلال كلام الزمخشري و بن عاشور الطاهر يتضح أن الذين معه من طائفة المؤمنين الذين صدقوه وآمنوا به .

قال الله تعالى: فما استطعوا أن يظهره وما استطعوا له نقبا (٤٦)

(٣٩)-سورة الاعراف الآية ٦٤

(٤٠)-سورة الروم الآية ٤٧

(٤١)-الكشاف (عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل): الزمخشري (جار الله أبي القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مكتبة العبيكان، الرياض، ج ٢، ط ١٤١٨، ١٠١-١٩٩٨م، ص: ٤٥٦

(٤٢)-الكشاف: الزمخشري، ج ٢، ص: ٤٥٦

(٤٣)-التحرير والتنوير: بن عاشور محمد الطاهر ، ج ٨، ص: ١٩٨

(٤٤)-التحرير والتنوير: بن عاشور محمد الطاهر ، ج ٨، ص: ١٩٨.

(٤٥)-المرجع نفسه ، ج ٨، ص: ١٩٨

(٤٦)- سورة الكهف الآية ٩٧

تعتبر قصة أهل الكهف من القصص التي أخذت حيزا واسعا في القرآن الكريم وسميت باسم هذه القصة وهي سورة الكهف، وسنعرض لآية من تلك السورة محاولين استخراج مضامينها ودلالاتها في السياق .

قال الطاهر بن عاشور: "(وضمير اسطاعوا) و(استطاعوا) ليأجوج ومأجوج"^(٤٧)، لكن نتساءل لماذا استعمل الخطاب القرآني (اسطاعوا) في العلو والظهور و(استطاعوا) في النقب والخرق، وهل للسياق دور في إبراز معنى كل منهما؟

قال الطاهر بن عاشور في هذا الصدد: "(اسطاعوا) تخفيف (استطاعوا) والجمع بينهما تفنن في فصاحة الكلام كراهية إعادة الكلمة، وابتدئ بالأخف منهما لأنه وليه الهمز وهو حرف ثقیل الحركة لكونه من الحلق، بخلاف الثاني إذ وليه اللام وهو خفيف"^(٤٨)، هنا إشارة إلى أن السياق اقتضى أن يتناسب سهولة الظهور و العلو على السد الفعل (اسطاعوا بالتخفيف) كما اقتضى السياق في صعوبة النقب و الخرق أن يناسبه صعوبة الفعل (استطاعوا)، فبدأ بنفي الفعل السهل قبل الفعل الصعب، ويتعمق الطاهر بن عاشور في هذا المعنى فيقول: "ومن خصائص مخالفة مقتضى الظاهر هنا إبتار فعل ذي زيادة في المبنى بموقع فيه زيادة المعنى لأن اسطاعة نقب السد أقوى من استطاعة فكلام الطاهر بن عاشور هذا يدلنا تسلقه، فهذا من مواضع دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى."^(٤٩) . دلالة واضحة على إعجاز النظم القرآني ومدى حرصه على تناسب كل فعل مع مفعوله .

قال الله تعالى: (وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ (٤٥) قَالَ يُنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسَلِّنْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ - عِلْمٌ إِنِّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)^(٥٠)

تزداد تفاصيل قصة نوح في القرآن الكريم تفصيلا بعد تفصيل ورسماً لأهم المعالم التي شهدتها هذه القصة من بينها دعاء نوح- عليه السلام- لربه من أجل نجاة ابنه وعدم الاستجابة هذا الدعاء حيث يبسط القول في هذه المسألة الطاهر بن عاشور في تفسيره فيقول عقب دعاء نوح لربه بصيغة (إن ابني): " فلم بطل ترده لما غلبته الشفقة على ابنه فأقدم على نداء ربه، ولذلك قدم الاعتذار بقوله: (إن ابني من أهلي). فقوله (إن ابني من أهلي) خبر مستعمل في الاعتذار و التمهيد لأن يريد أن يسأل سؤالاً لا يدري قبوله ولكنه اقتحمه لأن المسؤول له من أهله فله عذر الشفقة عليه .

وتأكيد الخبر ب(إن) للاهتمام به، وكذلك جملة (وإن وعدك الحق) خبر مستعمل في لازم الفائدة. و هو أنه يعلم أن وعد الله حق"^(٥١)، ثم يضيف الطاهر بن عاشور موضحاً المقصود بالوعد

(٤٧)-التحرير والتنوير: بن عاشور محمد الطاهر، ج ١٦، ص: ٣٨

(٤٨)-المرجع نفسه ج ١٦، ص ٣٨

(٤٩)-المصدر نفسه، ج ١٦، ص: ٣٨

(٥٠)-سورة هود الآية ٤٥-٤٦

(٥١)-التحرير والتنوير: بن عاشور محمد الطاهر، ج ١٢، ص: ٨٤.

الذي ذكره نوح-عليه السلام- فيقول: "المراد بالوعد في قوله تعالى: إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون" (٥٢)؛ إذ قال ذلك أن بعض أهله قد سبق من الله تقدير بأنه لا يركب السفينة" (٥٣)، وبناء على هذا القول فقد أوضح الطاهر بن عاشور بأن نوح-عليه السلام- قد علم بما لا يدع مجال للشك أن ابنه كان من الظالمين وأبى ركوب السفينة عن اختيار وطواعية ولكن نوح-عليه السلام-: "يطمع لعل الله أن يعفو عنه لأجل قرابته به، فسؤاله له المغفرة بمنزلة الشفاعة له عند الله تعالى وذلك أحد بأقصى دواعي الشفقة والرحمة بابنه" (٥٤)، ودعاء نوح لأجل ابنه كان مشروعاً ومبرراً وغير منهي عنه، وإلا لما صدر عن نبي الله نوح-عليه السلام- ووضح هذه المسألة الطاهر بن عاشور فقال: "وقد كان نوح-عليه السلام- غير منهي عن ذلك، ولم يكن تقرر في شرعة العلم بعدم المغفرة للكافرين، فكان حال نوح-عليه السلام- كحال النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لأبي طالب: (لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) (قبل أن ينزل قوله تعالى: ما كان النبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين (٥٥))." (٥٦)

بعد هذا التفصيل لأحوال دعاء نوح-عليه السلام- وما شهده من أمل وترقب لانفراج الكرب وزوال النقمة يأتي الجواب القاطع من الله تبارك وتعالى المبدد لتك الآمال المزيل لروابط الدم والغائها أمام قوة العقيدة وصلابتها ومتانة روابطها فقد برز دور السياق بما لا يدع مجالاً لتفسيرات أخرى في مدلول وعد الله إذ أن السياق المتمثل في سابق الآية قال: ﴿فَأَسْأَلُكَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ آتْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا نُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ (٥٧)، فهذا السياق قد يحدد وعد الله لنوح بكل تفاصيله ولما يدخل في هذا القول الوعد وبما لا يدخل فيه وقد يتبين بأن نوح ليس داخل فيه كونه كان من الظالمين وأبى ركوب السفينة، وبذلك تحقق وعد الله في هلاك الظالمين وظهر وعد الله الحق. فيقول الطاهر بن عاشور شارحاً قول الله - عز وجل -: "ومعنى قوله تعالى: إنه ليس من أهلك نفي أن يكون من أهل دينه واعتقاده، فليس ذلك إبطالا لقول نوح-عليه السلام- إن ابني من أهلي ولكنه إعلام بأن قرابة الدين بالنسبة لأهل الإيمان هي القرابة، وهذا المعنى شائع الاستعمال" (٥٨).

فدفاع نوح-عليه السلام- عن ابنه وإثبات قرابته له وأنه من أهله صحيح ظاهر للعيان لا إشكال فيه إذ أن نوح-عليه السلام- كان يقصد أهلية الدم والقرابة وكان يتشفع الله بها عسى أن ينجي ابنه، وجواب الله بنفي أن يكون ابن نوح-عليه السلام- من أهله صحيح وظاهر وجلي باعتبار أن القصد هو قرابة الدين والإيمان وليس قرابة النسب والدم وهذا ما دل عليه السياق في قوله تعالى:

(٥٢)- سورة المومنون الآية ٢٧

(٥٣)- التحرير والتنوير: بن عاشور محمد الطاهر، ج ١٢، ص: ٨٤.

(٥٤)- سورة التوبة الآية ١١٣

(٥٥)- المصدر نفسه، ج ١٢، ص: ٨٥.

(٥٦)- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ٤، ٢٠١٢ م، ص: 334.

(٥٧)- سورة المومنون الآية ٢٧

(٥٨)- التحرير والتنوير: بن عاشور محمد الطاهر، ج ١٢، ص: ٨٥.

(إنه عمل غير صالح) فهذا اللاحق قد بين بياناً واضحاً بأن ابن نوح -عليه السلام- كان رجلاً غير صالح وكان من القوم الظالمين لذلك نفى الله عنه أن يكون من أهل نوح ولا غرابة في ذلك فقد تكرر هذا المشهد في قصة لوط وفي غير ما موضع من القرآن الكريم .

الخاتمة

على أننا ونحن نتحدث عن تلقي المفسرين لا يمكن أن نغفل عن تصورهم لتلك الأسباب، فقد أجمل أبو الفرج ابن الجوزي [ت ٥٩٧هـ-] هذه الأسباب على لسان بعض العلماء: " وإنما سميت قصة يوسف أحسن القصص؛ لأنها جمعت ذكر الأنبياء والصالحين، والملائكة والشياطين، والأنعام، وسير الملوك والمماليك، والتجار والعلماء والرجال والنساء وحيلهن، وذكر التوحيد والفقهاء والسر وتعبير الرؤيا والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش والصبر على الأذى والحلم والعز والحكم، إلى غير ذلك من العجائب " (٥٩).

وهذه الأسباب تنطلق من المحاور الدلالية التي اشتملت عليها السورة كلها وهو أمر لم يغفله جلة المفسرين القدامى الذين قلبوا الدلالة المعجمية والصرفية لدالة القصص التي تعود معجمياً إلى قصّ أثره: أي تتبعه؛ لأن الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً، وقصّ الحديث: رواه، وقصّ شعره: قطعه (٦٠) والدلالة الإخبارية للمادة اللغوية هنا هي المقصودة، ويكون القصص معها بمعنى المصدر - الاقتصاص - والتقدير: قصصاً أحسن القصص " (٦١) والمراد حُسن الإخبار، ومن ثمة فإن " الحُسن يعود إلى القصص، لا إلى القصة، يُقال: فلان حسن الاقتصاص للحديث أي: جيد السياقة " (٦٢) أي طريقة عرض القصة أو الأحداث.

وقد أشار الفخر الرازي إلى هذا الوجه من اعتبار القصص مصدراً بمعنى الاقتصاص الدال على الإخبار (٦٣) ورأى أن الحُسن فيها إنما يعود إلى البيان لا إلى القصة ذاتها، ورأى أن " المراد من هذا الحُسن كون هذه الألفاظ فصيحة بالغة في الفصاحة إلى حدّ الإعجاز، ألا ترى أن هذه القصة مذكورة في كتب التواريخ مع أن شيئاً منها لا يشابه هذه السورة في الفصاحة والبلاغة " (٦٤).

٥٩- ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير - بعناية أحمد شمس الدين ٤/١٣٧- ط١/١٩٩٤م - دار الكتب العلمية - بيروت.

٦٠- ابن منظور: لسان العرب - سابق - ٧/٧٣-٧٥ - مادة قصص.

٦١- النحاس: أحمد بن محمد: إعراب القرآن - بعناية الشيخ خالد العلي ٢/٣٩٠ - ط٢/٢٠٠٨م - دار المعرفة - بيروت.

٦٢- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن - ضبط وتعليق وتخريج أحاديث د/ محمد إبراهيم الحفناوي - د/ محمود حامد عثمان ٩/١٢٤- ط١/١٩٩٤م - دار الحديث - القاهرة.

٦٣- عن دلالات الاقتصاص انظر كتابنا: التناص القرآني - دراسة في أشكال العلاقة بين الآيات القرآنية الكريمة ص ١٤-١٥ - ط١/١٣٠٢- أفريقيا الشرق.

٦٤- الرازي: محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ١٨/٨٧ - ط١/١٩٨١م - دار الفكر - بيروت.

وقد يكون القصص هذا المصدر محولاً عن اسم المفعول، والمراد المقصود من تسمية المفعول بالمصدر، ويكون المعنى "نحن نقص عليك أحسن ما يُقَصُّ من الأحاديث" (٦٥) أو أن يُقال: "نحن نخبرك بأحسن الأخبار" (٦٦) أو يمكن أن يُقال إنه: أحسن ما يُقَصُّ في بابه" (٦٧) وتعليل أفضلية الحسن - من ثم - يعود إلى المحاور الدلالية التي اشتملت عليها السورة الكريمة، تلك التي أشرنا إليها من قبل، وقد تكون أحسن هنا بمعنى أعجب الأخبار.

وربما ترتب على العجب هذا ما ذهب إليه بعض العلماء من تعليل الحُسن أو العجب - دلاليًا - هنا بقولهم: "إنما كانت أحسن القصص؛ لأن كل مَنْ ذُكِرَ فيها كان مآله السعادة، انظر إلى يوسف وأبيه وإخوته، وامرأة العزيز، قيل: والملك أيضًا أسلم بيوسف، وحسن إسلامه، ومُستعبر الرؤيا الساقى، والشاهد فيما يُقال، فما كان أمر الجميع إلا إلى خير" (٦٨).

ويمكن لنا أن نقف على شيء من تعليل هذا الحُسن كذلك سواء كان متعلقًا بالخبر المقصود نفسه، أو بطريقة السرد، أو بجمالياته البلاغية والفنية، حيث المراد بأحسن القصص "أحسن البيان" (٦٩) من خلال استقراء كلام القرطبي في تقدمته لتفسير السورة: "وذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة، بألفاظ متباينة على درجات البلاغة، وقد ذكر قصة يوسف ولم يكررها، فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرر، ولا على معارضة غير المتكرر، والإعجاز لمن تأمل" (٧٠) وإذا كان تكرر الحدث أو الخبر منتجًا لدلالاتٍ محددة يريدها منثى النص عامة، فإننا مع القرآن الكريم لا نستبعد ما يمكن أن يصحب عدم تكرر سورة يوسف عليه السلام من الدلالات التي يمكن أن نذكر منها أن في هذه السورة "حُجَّةٌ على مَنْ اعترض بأن الفصاحة تمكَّنت بترداد القول، وفي تلك القصص حُجَّةٌ على مَنْ قال في هذه: لو كُرِّرَتْ لَفَتَّرَتْ فصاحتها" (٧١).

ولمحي الدين بن عربي في تفسيره كلام يُعلِّل به هذا الوصف التفضيلي - أحسن القصص - إذ يرى أنه كذلك "لكون لفظه وتركيبه إعجازًا، وظاهر معناه مطابقًا للواقع، وباطنه دالًّا على صورة السلوك وبيان حال السالك كالقصص الموضوعة لذلك وأشدَّ طباقًا وأحسن وفاقًا منها" (٧٢) وذلك ما يستدعي كلام الفخر الرازي السابق، ويستدعي في الآن عينه دلالة جملة التفضيل التي تستدعي بدورها التساؤل: أين المفضل عليه؟، أو ما المقصود بالقصص؟ بعيدًا عن الدلالة اللغوية أو المعجمية التي

٦٥ - الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر: الكشاف ٢/٤١٥ - ط ١/١٩٩٧م - دار إحياء التراث العربي - بيروت

٦٦ - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن - سابق - ١٢٤/٩.

٦٧ - الأندلسي: أبو حيان محمد بن يوسف: تفسير البحر المحيط - تحقيق الشيخين: علي معوض، عادل عبد الموجود ٥/٢٧٩ - ط ١/١٩٩٣م - دار الكتب العلمية.

٦٨ - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٩/١٢٤.

٦٩ - الزجاج: معاني القرآن وإعرابه - شرح وتحقيق د/ عبد الجليل عبده شلي ٣/٨٨ - ط ١/١٩٨٨م - عالم الكتب

٧٠ - السابق ٩/١٢٢.

٧١ - الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد: تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن - تحقيق الشيخين: علي معوض، عادل عبد الموجود ٣/٣١ - ط ١/١٩٩٧م - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٧٢ - محيي الدين بن عربي: تفسير ابن عربي ١/٣١١ - ٣١٢ - المكتبة التوفيقية - القاهرة.

عرضنا لها من قبل، وإن كانت هذه الدلالة اللغوية يمكن أن توجهنا نحو المراد بالقصص، ومن ثمة تحيد وجهه أحسنيته.

إن المراد بالقصص يتراوح بين العموم والخصوص، العموم الذي تنتجه عمومية الموصولية في الدالة ال، حيث يكون المراد: الذي يُقَصّ، أو ما يُقَصّ، ومن ثمة تنصرف الدلالة هنا إلى كل قصص وأخبار السابقين جميعهم من الأنبياء والأمم بالوحي الذي ارتبط به هذا القرآن الكريم مما يشير إلى أن القصص القرآني أحسن من أي قصص آخر يتناول الأمم السابقة، أو الأنبياء السابقين الذين وردت قصصهم في غير القرآن الكريم، ومن ثمة فإن أية قصة وردت في القرآن الكريم أحسن من غيرها مما ورد في غيره من الكتب.

وإذا حصرنا القصص في الآية الكريمة بالبيان، ومن ثمة يكون المراد: نبين أحسن البيان، انصرفت الدلالة إلى الخصوص المرتبط بقصة يوسف عليه السلام وهو أمر مرجوح لخصوصية القصة، ولانفراد السورة بذكرها دون تكررها في مواضع أخرى من القرآن الكريم على نحو ما سبق من كلام القرطبي، وقد ذهب القاضي البيضاوي إلى أن المراد بأحسن القصص " أحسن الاقتصاص؛ لأنه اقتُصَّ على أبداع الأساليب، أو أحسن ما يُقَصُّ لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر، فغل بمعنى مفعول كالنقض والسلب، واشتقاقه من قصَّ أثره إذا اتبعه " (٣) وهو يؤكد خصوصية القصص هنا بقصة يوسف عليه السلام عندما جعل المراد بقوله تعالى ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف ٣] أي السورة بتوظيف آية المجاز المرسل في علاقة الجزئية، ويزيد التأكيد من خلال جعله ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾ [يوسف ٤] بدلاً من أحسن القصص إن جعل مفعولاً بدل اشتمال، أو منصوب بإضمار اذكر (٤) والتقدير: اذكر إذ قال يوسف، ومن ثمة فإن القصص هنا مخصوص بهذه السورة الكريمة دون غيرها.

المراجع

١. ينظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت ط ٣، ١٩٩٤، مادة سوق.
٢. -ينظر: أبو القاسم محمد بن عمر جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، دار الفكر، بيروت ط ١، ١٩٧٩، مادة سوق.

٣- القاضي البيضاوي: تفسير البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل - تحقيق وتعليق محمد صبحي حلاق، د/ محمود الأطرش ٢/ ١٥٧-١٥٨ ط ١/ ٢...م - دار الرشيد - دمشق، بيروت.

٤- السابق ٢/ ١٥٨.

- ٣- ينظر: خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن، ط ١، ١٤٢٩/٢٠٠٨ م، ص ٢٦.
- ٤- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٤ م، ص ٣٦٨.
- ٥- م ن، ص ٣٧٢، نقلا عن: عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨١، ص ١٥٢.
- ٦- ينظر: نعمان بوقرة، « نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية»، مجلة اللغة والأدب، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة الجزائر، ١٧ع، ٢٠٠٦ م، ص ١٩٩.
- ٧- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية ص ٤٢١.
- ٨- سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد ٥، دار الشروق، القاهرة، ط ٣٤، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م ص ٢٦٨٧.
- ٩- - حميد لحمداني، القراءة وتوليد الدلالة، تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ٢٠٠٣، ص 64.
- ١٠- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق وتهميش: محمد ألتنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٥ م، ص ٤٧.
- ١١- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص ٤٢٤.
- ١٢- يحيى بن حمزة العلوي، كتاب الطراز، مراجعة وضبط وتدقيق: محمد عبد السلام شاهين دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ص ٤٧٦.
- ١٣- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ج ٢، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط ٢، 1391 هـ/ ١٩٧٢ م، ص ٢٣٢.
- ١٤- سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد ٤، ص ٢٢٩٥.
- ١٥- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص ٤١٦.

١٦- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٢٣٢.

١٧- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية ص ٤٢٠، نقلا عن:

١٨- موسى إبراهيم الإبراهيم، تأملات قرآنية، بحث منهجي في علوم القرآن الكريم، شركة الشهاب، الجزائر، د.ت، ص ٢٦.

- ١٩ ينظر نصر حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، ص ١٥٥.

- ٢٠ نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م، ص ١٢٣.

٢١- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، كتاب أسباب النزول، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣، ص ٢٠٨.

٢٢- ينظر: جلال الدين أبو عبد الرحمن السيوطي، أسباب النزول المسمى "لباب النقول في أسباب النزول"، تحقيق وتعليق: خالد عبد الفتاح شبل، عالم الكتب، لبنان، ط ١٤٢٢هـ/٢٠٠٠م، ص ٢٣٠.

٢٣- ينظر: الحافظ أبو إسماعيل بن عمر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١، 1423هـ/٢٠٠٢م، ص ٢٦٠٩.

٢٤- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص ٤١٨.

٢٥- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج ٣، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، 1423هـ/٢٠٠٣م، ص ٢١٤.